بين الصحف والمجلات

هلال نوفمبر — ١٩٢٩ قصة مصرية بقلم محمود تيمور تحت عنوان (جريمة حب) من ٧٣ - ٧٨

* * *

تنقسم القصة الى نوعين. نوع للتفكهة مفعم بالحوادث مملوء بالوقائع تافه الموضوع تتذوقه عامة الناس للتسلية وقتل الوقت وهو لا يؤبه به اذاً لا فن فيه.

ونوع بسيكولوجي يحلل النفس البشرية فيبدى مكنوناتها و يظهر ما انطوت عليه من مشاعر وخوالج ، مبيناً نزعاتها المستترة ودوافعها الخفية التى تنعكس عنها فعال الانسان الظاهرة .

وهذا النوع هو المراد بالقصة أو هو القصة نفسها لان حياتنا البادية للعيان ليست بنت ذاتها بل هى نتيجة دوافع خفية فان لم تتسلل القصة الى اعماق النفس فتستوعب دفائنها وتستجلى ما استتر من امرها كانت سقيمة جدباء لا قيمة فنية لها فلا تكون والحالة هذه غير سرد وقائع لا تستهوى القارىء ولا تستأثر بمشاعره .

وتقوم القصة البسيكولوجية على ثلاث دعائم اساسية : اللغة والتنسيق والايجاز

اللغة

فاللغة فى القصة يجب ان تكون انيقة سلسة تجمع بين الجزالة ومتانة الاسلوب وفصاحة التعبير فتكون شعراً منثوراً أكثر منها نثراً مرسلا لانها ركن القصة المكين و بواسطتها تبوأ الفرنسويون المكان الاعلى فى عالم القصة . وقصر عنهم الانجليز والالمان لعقم لغتهما وعدم سلاستهما ومرونتهما .

التنسيق

والتنسيق يأتى فى المقام الثانى بعد اللغة فيجب خلق جو ملائم لما تسوقه من الحوادث وتبويب وقائعها وجعلها تسير على محور يشوق القارىء و يلذه و يتملك عليه مشاعره

بحيث اذا بدأ بقراءتها أخذت عليه مسالك الوعى فلا يلتفت الى ماعداها بل يحصر فيها كل حسه وشعوره حتى يكاد يلتهمها التهاماً .

الايجاز

والايجاز ركن مهم فى بناء القصة فاذا خلت منه خلا منها الفن وقد كان معول دى موباسان اشهر قصصى فرنسا على الايجاز حتى بلغ فيه حد الاعجاز الفنى . فيجب ان تكون كل كلمة فى القصة منتقاة لاتوضع الا فى محلها دون اسهاب ولا تطويل ولا حشو مع بروز فى شخصيات الذين تدور عليهم الحوادث بحيث تستشف طباعهم وتبدو خصالهم . حتى ان القارىء ليعجب كيف تصورهم فى ذهنه بوضوح وجلاء بوصف موجز يكاد لايتجاوز بضعة كلمات

وأما الاسهاب فيجب ان يكون الى حد معين فى تحليل نفسية الاشخاص لان القصة البسيكولوجية لم توضع الا للتثقيف والتهذيب ، فاذا خلت من موعظة خرجت عن طورها وفقدت مزاياها .

وأما السرد المرسل على عواهنه ، والكلام الملقى جزافا دون التفات الى عقدة الرواية ومحورها ومنحاها الطبيعى كما يفعل كل مؤلفينا فليسا من القصة فى شىء . ولم يخرجا عن كونهما أبديا للفكر حادثة ليس فيها أثر للفن . ولايقرأ الانسان بعضها أو كلها الا و يتولاه الضجر والملل فيلقيها من يده صاخباً متذمرا .

والخيال فى القصة له مكانة عالية . فهو لها كالزخرف للتمثيل . واذا تجردت فتر تأثيرها وقل ماتوحيه فى النفس من الالهام .

و يجب مراعاة الجو المحيط باشخاص القصة بحيث يتحركون فى محيط نفسى يأتلف بعادات الوسط الذى هم فيه و يماشى العقل دون مغالاة او تطرف ينأيان به عن حد الواقع و يقربانه من مجاهل الأساطير التى يصدف عنها الفهم و يأنف منها العقل

واما مستهل القصة فيجب ان يكون شيقا جذاباً يسترعى الاهتمام ويتملك العواطف و إلا باء المؤلف بخيبة القصد وفشل الامانى . فكم من مرة حاول الواحد منا قراءة قصة لكنه لا يكاد يطالع منها سطورا معدودة حتى تعتريه السآمة فيلقيها من يده دون ان يعود اليها وقد تكون فى ذاتها من ابلغ القصص وامتعهن لكن مطلعها مسهب ممل

فاتر لاحرارة فيه فيمجه الذوق وينبذه القلب وتضيع الجهود التى بذلت فى تشييد اركان القصة واعلاء بنيانها .

والخاتمة هى روح القصة فيجب ان تكون كتيار كهربائى يمس العواطف فيلهبها والمشاعر فيضرمها حتى اذا ما انتهى منها لبث زمنا دهشا مأخوذا قد تملكته روعة تهز منها اعماق نفسه وخو الج فؤاده .

هذه هى الاسس التى يشاد عليها بناء القصة فاذا اخل باحدها مؤلف اجدبت القصة واعلت حتي تصبح سردا مطلقا لايعتد به ولا يؤبه له . فهل القصة التى نحن بصددها تحوى شيئا مما قدمناه ؟

لغتها

لم ر وأيم الحق لغة اشد ركاكة واكثر اغلاطا من لغة هذه القصة حتى انها لو كتبت بلغة عامية محضة لكان افضل من ان تحشى بمثل هذه الا خطأ النحوية والتراكيب الشوهاء السقيمة التى ينفر منها الذوق السليم

لو شئنا تعداد كل مافيها من الخطأ لما بقى منها شيء لكننا نكتفى ببعض ما يقع عليه نظرنا فقد استهل المؤلف قصته بوصف « الصديق » فقال :

« رجل ممتلىء بوجه احمر وعيون براقة » فاذا تجاوزنا عن سقم التعبير فى هذه الجملة لا يسعنا التجاوز عن «عيون براقة» لان للانسان عينين اثنتين لا زيادة والمؤلف يريد ان يكون للانسان اكثر من ذلك .

وقال فى موضع أخر : « فاذا به رجل اوشبه رجل » لعمرى لاادرى ما ذا يعنى بشبه رجل . فقد كددت ذهنى طويلا فلم اتوصل الى حل هذا الرمز وحكمت فى آخر الامر بان المعنى فى قلب المؤلف .

وقال بعد ذلك . «له عينان حائرتان تشعان نارا تخالهما جذوتين معلقتين فى الفضاء» فاشعت الشمس اي نشرت شعاعها . والشعاع مايرى من ضوئها عند ذرورها كالقضبان والخيوط . وجاء فى حديث ليلة القدر ان الشمس تطلع من غديومها لاشعاع لها .

فلا يفهم من كل هذا ان الشعاع وهو النور الخامد يولد نارا . وأما «تخالهما جذوتين معلقتين فى الفضاء» فاقسم انا والناس اجمع باننا لم نبصر طيلة حياتنا جذوة نار معلقة فى السماء .

وقال بعد ذلك « كان صوته منسلخا » لا نفهم معنى انسلاخ الصوت فيقال سلخت الشهر اذا امضيته وصرت فى اخره . وانسلخ الشهر من سنته والرجل من ثيابه والحية من قشرها والنهار من الليل . فاى معنى يريده لصوته من هذه المعانى ولا ينطبق عليه واحد منها ؟

وقال . « كان يشد على كلمة اليوم شدآتنفرج على اثره شفتاه عن أسنانه المطبقة » . تعبير سقيم لان الشفتين لاتنفرجان بعد الكلام بل فى اثنائه ويخيل الى ان الكاتب ظن أن كلمة « على اثره » معناها « اثناء » فوضعها هنا .

واما « كان يشد على . . . . . فيقال : شد عضده اى قواه وشده اوثقه وجاء فى القرآن الكريم : حتى يبلغ أشده . اى قوته وشد على خصمه اى ضيق عليه . ولم نر معنى « الشد على الكلام » كما عبر المؤلف .

وقال : « سوف اردبها قتيلة فى لحظة وسوف ادعك رأسها بقدمى » . يقال دعك الرجل خصمه اى لينه . وتداعك الخصمان فى الحرب : تمرسا . والدعك بمعنى الدلك . والمؤلف اراد ان يقول « اسحق رأسها » فالتبس عليه المعنى فقال « أدعك » .

وقال : « فبلعت ريقى الجاف » لاندرى كيف يكون هناك ريق اذا كان الفم جافا ولا كيف يبلع ريقه اذا لم يكن ثمة ريق ؟

وقال : « واحببنا بعضنا » والصواب أحب بعضنا بعضاً أو تحابينا .

وقال عن امرأته : « لم تكن تغشانى فى ذلك الحين » ولم نفهم مراده لان فعل غشى بمعنى أتى . فكيف لم تكن تأتى اليه وكان واياها فى بيت واحد ؟ اللهم الا اذا كان مراده غشته بالسوط بمعنى ضربته . ومع ذلك لايستقيم المعنى اذا قسناه بسياق الجملة .

وقال ايضاً : ونظرت الى عينيه فى هذه اللحظة فاذا بهما (بقعتين ؟) من الدم على وشك الانفجار . قال بقعتين عوضا عن « بقعتان » . ولم نر عيونا كأنها بقع دم . ولم نسمع قط ان الدم ينفجر اللهم الا اذا كان داخله ديناميت او ميلنيت او ماشابههما .

وقال : ورأيت وجها بشعا قد تغضن فى هذه اللحظة القصيرة بغضون عشرات السنين . فهل مما يسلم به العقل ان غضون سنين عديدة تأتى فى لحظة مهما اشتد الهم الذى يبرح بالقلب ؟

وقال : « لم تفرز عيناه دمعة واحدة اذ كانت دموعة قد نضبت من زمن بعيد » . فمن

اين عرف ان دموعه قد نضبت من زمن بعيد وهو لم يره الاوقتئذ ولم يطلعه الرجل على ذلك ؟

وقال : « ان قلبه هو الذى كان يبكى ويولول داخل هيكل جسمه الفانى » . تعبير سخيف لان الولولة هى الصياح بصوت عال والقلب مهما إشتدت ضرباته وعظم وجيبه لاتسمع دقاته الااذا وضعت الاذن على صدر الانسان .

وقال « احذر ماذا فعلت » واراد خمن من التخمين فاتى بالكلمة العامية لان احذر معناها تيقظ وأهب وقد وردت فى القرآن الكريم إنا جميعا لحاذرون . أى متأهبون .

وقال : ان لااعيش معها عيشة سالبة ، اذ سلب الشىء معناه اختلسه واخذه قسراً . واما اذا أرادأن يقول «عيشه سلبية» فقد تكون اقرب الى المعنى ولوانها لاتؤديه تماما.

وقال : « اخذ يحملق فى حملقة تائهة » . حملق الرجل فتح عينيه ونظر نظراً شديداً فكيف تكون الحملقة تائهة اذا كانت بطبيعتها شديدة حادة ؟

وقال عن امرأته : اذا نظرت اليها استطعت ان ترى ماهو خلفها : انها شفافة مصنوعة من البلور » . فى اترك تقدير سخافة هذا التشبيه للقارىء الكريم . وأكبر ظننا أن (المدام) كانت (لوح) ولكن (لوح قزاز)

وقال : « فانهضتنى قبالها» والصواب قبالتها

وقال : « امرغ وجهى عليها» والصواب امرغ وجهى فيها

وقال « ثم هوى على يديه واخذ يعضهما عضاً مؤلما » تعبير لامعنى له فى اللغة العامية ولا اللغة الفصحى . لان هوى بمعنى أحب وسقط الى أسفل . والسقوط يكون بكل الجسم لا بالوجه وحده

وقال : « بينما الافكار تنخر فى رأسى كما ينخر السوس فى الجيفة القذرة » والصواب . تنخر رأسى . لان يقال نخر السوس الخشب . هذا من جهة اللغة . وأما من جهة المعنى فلا ندرى من هو الذى يشبه نفسه بالجيفة النتنة (لا القذرة كما قال) مهما دنئت همته وسقطت مروءته ؟

وقال : « احمرت وجهه ممتقعا بالرغم من احتقانه . وعيناه مفتوحتان لاتتحركان» واحتقان الوجه توارد الدم اليه . والامتقاع اصفرار الوجه فكيف يمكن الجمع

بين النقيضين ؟ وكلمة « عيناه » تقع هنا مفعولا لفعل وجدت المستتر فالصواب « عينيه المفتوحتين »

هذا غيض من فيض من أخطاء اللغة والمعانى ولما كانت اللغه كما أبنا ركن القصة المكين فقد سقطت هذه القصة بسقم لغتها وركاكة تعابيرها وسخافة اسلوبها .

تنسيقها

لكى نقرب نقدنا الى ذهن القارىء يجب تلخيص القصة ليتتبع معنا تنسيقها ومافيه من الخلل :

غادر شاب مدرسته ليتمتع بالجلوس فى قهوة خلوية اعتاد التخلف اليها فوجد رجلا هزيل الجسم بشع الوجه لم يره قط منفرداً فى ركن مظلم من أركانها فتطلع اليه ملياً ثم حول وجهه عنه . لكنه شعر بعد برهة بحركة وراءه فذعر والتفت فجأة فرأى الرجل (المخيف) كما يسميه واقفا يتفرس فيه وللحال جلس الى جانبه دون كلفة وشرع يخاطب نفسه تارة ويخاطب الشاب اخرى فاطلعه على دخيلة أمره من أنه ربى مع فتاة أحبته وأحبها ولما كبرتزوج بها لكنها ملته وشغفت بغيره لكنه لبث على حبها فكان يأتى لها بالعشاق ليفوز برضاها غير أنها لم تعبأ به فعزم تلك الليلة على قتلها وأخرج مسدسا من جيبه وطلب من الشاب مرافقته ليرى مصرعها وهدده بالقتل اذا أبى . فرضخ الشاب خوفا وركب عربة بصحبة الرجل ولما التقى الزوج بزوجته هددها بالمسدس لكنه ماعتم أن صوب رصاصه الى رأسه وسقط جثة هامدة .

هذا هو ملخص القصة فهى عديمة التنسيق لاتبويب فى وقائعها ولا ترتيب فى حوادثها ولا محور تدور حوله ولا جو يلائم مايسوقه المؤلف بل سرد مطول يحتوى على أمور بعيدة عن التصديق . اذ كيف يقبل عقل أن رجلا يقصد آخر فى قهوة دون سابق معرفة فيسر اليه بما فى نفسه دون أدنى تمهيد مخبراً اياه بزلة امرأته وعزمه على قتلها ويأمره بالسير معه للفتك بها فيمتثل هذا مرغما ويذهب معه لحضور جريمة قد تسوقه الى أوخم العواقب . . يفعل الشاب هذا دون ان يستعين على الرجل بصاحب القهوة أو بالسابلة لينجو من براثنه ؟

وهل يعقل أن المصرى المشهور بمحافظته على عرضه تسفل نفسه لدرجة يحتمل

فيهاأن يقود العشاق لزوجته لينال حظوة لديها ؟

وهل يريدحضرة المؤلف أن يجعلنا نقتدى ببطل القصة فيما لو رغبت عنا زوجاتنا بغيرنا فنأتى لهن بمن يملن اليه واذا ابين الرضى رغما عن كل هذا نقتل انفسنا حبا بهن ؟

اسئلة نترك الجواب عنها لحضرات القراء .

ايجازها

القصة كلها حشو وكلام ملقى على عواهنه دون ان يكون للشخصيات بروز أو أثر يذكر مع اسهاب فى المواضع التى يجب الاختصار فيها وايجاز فى الامكنة الواجب التبسط فى حوادثها ، دون أن يكون ثمة أثر للتحليل النفسى ولا للفن الدرامى .

فاذا عدمت من القصة أركانها الأساسية الثلاثة وهى اللغة والتنسيق والايجاز ، وزال منها كل أثر لتحليل الشخصيات وكل ظل للفن . وفتر استهلالها وساءت خاتمتها فاى شىء يبقى منها ؟

لعمرى لم نزل الى الآن رغما عن عدونا الشديد فى مضمار فن القصة بعيدين عن مواطن التأليف . ولا يغرن الانسان ماتخلعه الجرائد والمجلات على كتابنا من القاب التفخيم والتعظيم فهذه . عادة فينا لايغيرها سوى الكفن . فليس عندنا الى الآن كاتب أو شبه كاتب يصح ان ينعت بأقل واحد من هذه النعوت

واما تقصيرنا هذا فمرجعه الى أصحاب الصحف لانهم ينظرون الى من يقول ، لا إلى مايقال فيحشون مجلاتهم بكلام غاية فى السقم والركاكة لانه صادر من ذى مقام مادى . دون ان يعبأوا بالكتاب المستترين الذين تجهم لهم وجه الزمن

فلو سخوا على هؤلاء لنهضوا بالفن الى أعلى قمة المجد ولكن داءنا الدفين الذى لا نبرأ منه ينحصر فى كلمتين قالها المرحوم الدكتور صروف لنابغة العرب وهما « بما أنك لا تملك عزبة ولا رتبة فلا تأمل بالنجاح فى ميدان الكتابة » .

جورجى نيقولاوس

فهرست

صحيفة		
٥٨٥	عاصفة ـ موسى كليم الله	اسماعيل مظهر
٥٩١	التعاليم البهائية	عمر عنايت
٥٩٦	عمر الأرض	
٥٩٧	على السفود	
٦١٨	العزلة للشاعر لامرتين	جورجى نيقولاوس
٦٢١	شيطان بنتوور	شوقى بك
٦٢٧	النسمات ـ قطعة شعرية	الصيرفى
٦٢٩	عزيز ـ قصة	ن . ج ـ ن
٦٣٤	علم المانيا وحضارتها عن موريس اينوك	عبد الحميد سالم
٦٤١	الحجاب وأثره فى الاسرة والشعب	كامل داود
٦٤٥	الازهر وعوامل الرجعية فيه	الحاجرى
٦٥٠	الذهبية المهجورة	
٦٦٠	الموسيقى	كين
٦٦٤	رأى الرجل فى عرى المرأة	ج
٦٦٧	خادم البيعة	ح ك ص
٦٧٣	تاريخ التمثيل	جورجى نيقولاوس
٦٨٩	منبر العصور ـ محاربة النبوغ	ابن حزم
٢٨٠	كيف تفقد مصر قوتها	
٦٨٣	شرك الجمال ـ أو الحسن العارى	الصيرفى
٦٨٥	الاوپرا فى مصر ـ قطعة فنية	
٦٨٧	النقد والتأليف	
٦٨٧	الطبيب والمعمل	الدكتور شخاشيرى
٦٣٩	فاوست	
٦٩٩	جمهورية افلاطون	
٧٠٢	العاصفة	
٧٠٥	بين الصحف والمجلات ـ هلال نوفمبر سنة ١٩٢٩	